ضرورة البحث عن الدين والعقيدة؛ شبهةٌ وردودٌ

د. محمدعلي أردكان*

الخلاصة

يشـــكّك البعض بفائدة البحث عن العقيدة لأسبابٍ وذرائع مختلفةٍ. وحاولنا في هٰذه المقالة التركيز على الشبهة القائلة بعدم فائدة بحثٍ كهٰذا وبأنّه لغوٌ، وذٰلك من خلال تعميم هٰذه الشبهة وتوسيع دائرتها لتشمل الدين. ومع أنّ هٰذه الشبهة يمكن أن تنشأ من عوامل مختلفةٍ، بيد أنّ العامل الّذي ركّزت عليه هٰذه المقالة هو اليأس من الوصول إلى نتيجـــةٍ معيّنةٍ وقطعيّةٍ في البحث عن الاعتقادات الصحيحة. وقد أثبتت التجربة أنّ الإنسان يصل إلى نتيجةٍ معيّنة في بحثه في أيّ علمٍ، وأنّه يستفيد من النتائج المســـتخلصة من بحثه. وإذا ما نظرنا نظرةً أوســـع فسنرى أنّ الإنسان يســـعى وراء الأشياء ذات النتيجة القطعيّة بالنسبة له، أو تلك الّتي يأمل أن تكون

(*)الدكتور محمدعلى محيطى أردكان، إيران، أستاذ مساعد في قسم الفلسفة، مؤسّسة الإمام الخمينيّ للتعليم والأبحاث.hekmatquestion@gmail.com

ذات نتيجــةٍ قطعيّةٍ، ولا يبدو البحث عن العقيدة والدين ـ حســب وجهة النظر هٰذه ـ بحثًا هادفًا.

في معرض جوابنا النقضيّ عن هٰذه الشــبهة، نــرى أنّها واردة على النتائج الّتي يمكن الحصول عليها من العلــوم الأخرى، خصوصًا العلوم التجريبيّة. فمواضيع مثل احتساب مقدار الْمُحْتَمَلِ إلى جانب مقدار الاحتمال في تعيين قيمة أيّ عملٍ، وحكم العقل والفطرة بضرورة جلب المنفعة ودفع الضرر المحتمل، وعدم وجود يقينٍ منطقيٍّ بعدم فائدة البحث الدينيّ، وإمكان الوصول إلى اليقين في المسائل الأساسيّة للدين الصحيح عن طريــق المصادر والمعايير المعتبرة، بل تحقق هٰذا اليقين؛ وكون البحث عن الحقائق ـ ومن جملتها الدين والحقائــق الدينيّة ـ أمرًا فطريًّا، وإرجاع مواضيع التديّن والبحث عن الإلٰه وعبادته إلى الفطرة؛ ولزوم البحث عن الكمال بين الرؤى الكونيّة والآيديولوجيّات المرتبطة بها وضرورة الوصول إليه على أســاس الميول الفطريّة لدى البشر؛ تعدّ مفاتيح حلّ الشبهة المذكورة.

المفردات الدلاليّة: العقيدة، الدين، اليقين، العقل، الفطرة، الكمال، السعادة.

مقدّمةٌ

إنّ ســلوكيّات الإنسان المختلفة تنشــأ عن معتقداته، ولا يخفى على الباحثين الدور الّذي تلعبه الاعتقادات في انتخاب الأفعال، وإنّنا في هٰذه المقالة بصدد بيان ضرورة البحــث في الاعتقاد، وبطلان إنكار هٰذه الــضرورة. يرجّح كاتب البحث توســيع نطاق هٰذا البحث، وطرحه في مجال البحث الدينيّ؛ حيث إنّ الاعتقادات تشكل جزءًا من الدين.

دعونا نبــيّن قصدنا من (الدين) بصورةٍ واضحة، فهٰــذا الاصطلاح ذو معانٍ عدّةٍ؛ ولذٰلك فإنّ عدم تشــخيص المعنى المقصود ســيؤدّي إلى مغالطاتٍ بســبب الاشتراك اللفظيّ، ولن يصل البحث إلى نتيجةٍ معيّنةٍ.

وبالنظر إلى كون التعريف المنطقيّ للدين ممتنعًا أو مشكلًا، فقد سعينا من خلال توضيح هٰذا المصطلح وشرحه إلى بيان الموضوع أكثر. فالمقصود من الدين في هٰذه المقالة هو مجموعة الاعتقادات والأوامر العمليّة والأخلاقيّة المتناسبة معها والّتي تضمن السعادة الحقيقيّة للإنسان؛ ولذٰلك فإنّنا سنطرح الشبهة المثارة حول هٰذا الموضوع من دون تعيين مصداقٍ لهٰذا الدين، وسنجيب عنها؛ لأنّ هٰذه الشبهة لا تخصّ الدين الإسلاميّ وحده، بل يتّسع نطاقها ليشمل كلّ الأديان؛ فالجواب عن الشبهة يقع في إطار الدفاع عن أصل الدين [أيّ دينٍ كان]، وأمّا تشخيص الدين الحقّ فإنّه موضوعٌ بحاجةٍ إلى بحثٍ آخر. في هٰذه المقالة سنجيب عن الشبهة بعد بيانها بجوابٍ نقضيٍّ وعدّة أجوبةٍ حلّيّةٍ.

أوّلًا: بيان الشبهة

إنّ البحث عن الدين بحثٌ عقيمٌ ولغوٌ؛ إذ لا توجد أيّ ضمانةٍ للوصول إلى نتيجةٍ معيّنةٍ وقطعيّةٍ يمكن من خلالها تنظيم السلوك الإنسانيّ؛ ولذٰلك يجب أن نسعى في أن يكون بحثنا عن أشياء نطمئنّ من أنّها توصلنا إلى النتيجة المطلوبة أو نأمل ذٰلك على الأقل. ويجب أن نعرف أنّ الادّعاء بأنّ البحث الدينيّ لغوٌ هو ادّعاءٌ ناشئٌ عن عوامل مختلفةٍ، وكلّ عاملٍ منها يستحقّ أن يكون بحثًا مستقلًّا بحدّ ذاته، بيد أنّنا في هٰذه المقالة سنركّز على [شبهة] عدم قطعيّة النتائج في البحث الدينيّ، وعدم إمكانيّة حلّ مسائلها، وسنسعى في المقالات التالية إلى بحث الذرائع الأخرى لمنكري ضرورة البحث الدينيّ والمشكّكين فيها، مع استقصائها. ويجدر بالذكر أنّ هٰذه الشبهة ناتجةٌ عن التيّارات التشكيكيّة الثلاثة في تاريخ الفلسفة الغربيّة، وظهور وانتشار الإسمانيّة (أصالة التسمية) (Nominalism) وإنكار الكلّيّات [المنطقيّة] في القرن الرابع عشر وما تلاه. وكذٰلك ترجع إلى ظهور أشخاصٍ تجريبيّين (Empiricist) كديفد هيوم (David Hume)، وصعود التيّارات الإنسانيّة (Humanism)، وغضّ الطرف عن المسائل الإلٰهيّة ومسائل ما وراء الطبيعة، والتوجّه صوب التحرّر المفرط، ومن الطبيعيّ أن يقع أتباع التيّارات الفكريّة المذكورة في شراك هٰذه الدوّامة المعرفيّة والمعضلات الفكريّة.

هٰذه الشبهة الّتي بلغت في طرحها مستوى الذروة في أوائل القرن التاسع عشر الميلاديّ، وخصوصًا في آراء أغوست كونت (August Comte)، يمكن بحثها على أساس المذهب التجريبيّ المتطرّف الّذي عرف بالمذهب الوضعيّ (Positivism)، الّذي عدّ المفاهيم الاستنتاجيّة للعلوم مفاهيم غير علميّةٍ وليست ذات معنًى. ويزعم أغوست كونت في شرحه للمرحلة الثالثة (Positive Stage) من مراحل الفكر البشريّ أنّ البحث في كيفيّة بزوغ الظواهر والعلاقات الّتي تحكم هٰذه الظواهر بما سواها هو بحثٌ علميٌّ (إثباتيٌّ). ونتيجة هٰذا النمط من التفكير هي أنّ المعتقدات الدينيّة - على أساس فهم كونت - لغوٌ محضٌ، وأنّ البحث فيها عبثٌ كذٰلك.

ثانيًا: الجواب عن الشبهة

سوف نتطرّق في البداية إلى الجواب النقضيّ، ثمّ سنجيب بعدّة أجوبةٍ حلّيّةٍ:

1. الجواب النقضيّ

من المستبعد أن لا يفكر الإنسان العاقل بحلٍّ لمشاكله اليوميّة، وأن يقضي حياته في ظلّ ظروفٍ صعبةٍ دون أن يفكّر بصورة حلٍّ لها، فالإنسان [العاقل] يسعى بكلّ ما أوتي من قوّةٍ لتسهيل ظروف حياته؛ ومن هنا فإنّنا نراه أحيانًا قد رسم من خلال قواه العقليّة خارطة طريقٍ، ويسعى من خلال التجارب العمليّة أن يصل إلى تحقيق أهدافه. كما أنّ البحث في القوانين الطبيعية - بل وأيّ قاعدةٍ [علميّةٍ] يمكن أن تساعد في حلّ مشكلات الإنسان - مستمرٌّ، فكم وصل الإنسان إلى النتائج الّتي يطمح إليها بعد قرونٍ من السعي والبحث العلميّ.

وهنا سنواجه سؤالًا أساسيًّا ومهمًّا، وهو أنّه على الرغم من اعتراف العلماء بعدم قدرة البشر حاليًّا على حلّ مسائل علميّةٍ كثيرةٍ، وتأخّر إتيان البحوث العلميّة ثمارها، واعترافهم بعدم قطعيّة كلّ أو بعض النتائج الّتي يتوصّل إليها الإنسان عن طريق العلوم التجريبيّة، فلماذا يستمرّ البحث عن القوانين الطبيعيّة والعمل بموجب ما تمّ اكتشافه منها إلى الآن؟

إنّ الأمل بحلّ المسائل الأساسيّة في الدين لا يقلّ عنه في المسائل العلميّة الأخرى، وإذا كان الإنسان يسعى في حلّ المسائل التجريبيّة والتطبيقيّة عقودًا أو قرونًا من البحث على أمل حلّها، فإن سعيه في حلّ المسائل الأساسيّة في الدين في مدّةٍ محدودةٍ - قد تكون جزءًا من عمر أيّ إنسانٍ - سيكون أكثر وجاهةً ومقبوليّةً.

2. الجواب الحَلّيّ

وعلاوةً على الجواب النقضيّ، يمكننا أن نردّ الشبهة المعنيّة بعدّة أدلّةٍ، بل ونستطيع نفيها من أساسها من خلال إثبات الضرورة العقليّة للبحث الدينيّ في النقاط التالية:

أوّلًا: قوة الاحتمال والمحتمل للمنفعة ودفع الضرر

لقوّة المحتمَل دورٌ أساسيٌّ في تعيين قيمة الاحتمال. فقيمة الاحتمال تابعةٌ لمقدار الاحتمال وقوّة المحتمَل. على هٰذا الأساس، بما أنّ النفع المحتمَل في البحث عن الدين والالتزام العمليّ به غير متناهٍ، فالعقل يحكم بلزوم المحاولة في هٰذه المنفعة ولو كان الاحتمال - الحصول على النتيجة القطعية - ضعيفًا. [انظر: مصباح يزدي،آموزش عقايد، ص 43]

ولتعيين قيمة الاحتمال، يجب أخذ عاملين بنظر الاعتبار:

أ. **مقدار الاحتمال**: كلّما كان احتمال الوصول إلى المنفعة أو دفع الضرر أعلى في فعلٍ ما، فإنّ قيمة القيام بذٰلك الفعل تزداد، بغضّ النظر عن العامل الثاني [أي مقدار المحتمل].

فالّذي يتقدّم للعمل في شركتين مختلفتين، وتكون مقابلته في كلا الشركتين متزامنتين، فإنّ هٰذا الشخص سيرجّح الشركة الّتي يكون احتمال قبوله فيها أعلى، وذٰلك لأسبابٍ كقلّة المنافسين وغير ذٰلك.

وفي حياتنا اليومية يتكرّر هٰذا المشهد، فإذا أردنا انتخاب عملٍ من بين عدّة

أعمالٍ، فسننتخب العمل الّذي يكون احتمال الحصول على المنفعة فيه أعلى؛ وكذا هو الحال إذا أردنا أن ننتخب محصولًا زراعيًّا جديدًا لنزرعه لأوّل مرّةٍ، فإنّنا سننتخب المحصول الّذي نحتمل أن يكون ربحنا فيه أكثر لأيّ سببٍ كان، كملاءمة المحصول للتربة والجوّ وغيرها.

كذٰلك، إذا كان احتمال ربحيّة نشاطٍ اقتصاديٍّ ما 10٪، واحتمال ربحيّة نشاطٍ اقتصاديٍّ آخر 20 ٪، فإنّ الأخير سيحظى بقيمةٍ أعلى عندنا؛ لأنّ احتمال كونه مربحًا أعلى من الأوّل.

هٰذه القاعدة نفسها جاريةٌ في الأمور غير المادّيّة.

ب. **مقدار المحتمل**: إنّ قيمة القيام بعمل ما لا تتبع مقدار الاحتمال فقط، بل يتعدّاه إلى قيمة الفائدة الناجمة عن المحتمل أيضًا. فإذا تلقّينا مثلًا رسالةً من مصدرٍ رسميٍّ موثوقٍ تقول: "إذا اشتركتم في الاستبيان الخاصّ بنوعيّة السلع الّتي تنتجها الشركة الفلانيّة المعتبرة والمعروفة، فسوف تكونون ضمن المشاركين في قرعة توزيع ألف منزلٍ سكنيٍّ مؤثّثٍ مجّانًا"؛ فإنّ المشاركة في هٰذا الاستبيان البحثيّ للشركة ستكون أمرًا قيّمًا وعقلانيًّا، على الرغم من أنّ عديد المشاركين سيكون كبيرًا في أنحاء البلد، وأنّ احتمال الحصول على المنفعة المرجوّة قليلٌ.

وفي مثالٍ آخر نفرض أنّ طالبًا أراد اختيار قسمه الدراسيّ في الجامعة، ففي الظروف الطبيعيّة الّتي يكون فيها احتمال قبول هٰذا الطالب في قسم إدارة الأعمال بنسبة 40 ٪، وفي قسم الطبّ النوويّ بنسبة 20 ٪، ونفرض أنّ المردود المادّيّ والموقع الاجتماعي لقسم إدارة الأعمال بعد التخرّج هو عشر ما عليه في الطبّ النوويّ، نرى أنّه يفضّل قبوله في القسم الثاني. وفي الواقع يرجّح هٰذا الطالب الطبّ النوويّ مع علمه بأنّ نسبة قبوله فيه هي نصف ما عليه في قسم إدارة الأعمال. وللسبب نفسه أعلاه نرى في المثال الوارد في الفقرة (أ) أنّه إذا كان مقدار الربح الناشئ عن النشاط الاقتصاديّ الأوّل يساوي عشرة أضعافه في النشاط الثاني،

فإنّ أفضليّة العمل الأوّل ستكون خمسة أضعافها في العمل الثاني، على الرغم من أنّ احتمال استحصال المنفعة في العمل الثاني تصل نسبته إلى الضعف.

بناءً على هٰذه المقدّمة يمكننا أن نقول إنّه حتّى إذا كان احتمال الوصول إلى نتيجةٍ قطعيّةٍ في البحث الدينيّ ضعيفًا، بيد أنّ المحتمل - وهو الوصول إلى النعم الأبديّة في حال الالتزام النظريّ والعمليّ بالتعاليم، والخلود في العذاب الأبديّ في حال التخلّف عن الطاعة عنادًا [سورة آل عمران: 85؛ سورة إبراهيم: 8] - قويٌّ إلى درجةٍ تجعل قيمة البحث الدينيّ غير قابلةٍ للوصف، وتجعل السعي المبذول في البحث في هٰذا الموضوع أكثر قيمةً من أيّ سعيٍ آخر إلى نتائج محدودةٍ.

ومن الشواهد على ضرورة البحث عن العقيدة الصحيحة وفائدة التمسّك بها هي ما ورد في كلام الإمام الصادق مع رجلٍ كافرٍ يدعى ابن أبي العوجاء إذ قال له: «إِنْ يَكُنِ الْأَمْرُ كَمَا تَقُولُ - وَلَيْسَ كَمَا تَقُولُ - نَجَوْنَا وَ نَجَوتَ وَإِنْ يَكُنِ الْأَمْرُ كَمَا نَقُولُ -وَهُوَ كَمَا نَقُولُ - نَجَوْنَا وَهَلَكْتَ» [الكليني، الكافي، ج 1، ص 78].

إضافةً لما سبق - واستنادًا إلى عقائدنا - فإنّنا لو فرضنا أنّ شخصًا لم يصل في البحث الدينيّ إلى نتيجةٍ معيّنةٍ قطعيّةٍ، فإنّه لن يحرم من السعادة الأبديّة بشكلٍ كلّيٍّ. وإذا سلّم شخص للحقيقة [انظر: سورة الشعراء: 88 و 89؛ سورة البقرة: 112؛ الكليني، الكافي، ج 2، ص 45]، وبحث عنها، ولم يستطع لأسبابٍ ما الوصول إلى النتيجة المطلوبة، فإنّ هنالك أملًا بأن تشمله العناية والرحمة الإلٰهيّة كما وعد - سبحانه - في كتابه الكريم: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمْ قَالُواْ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الأَرْضِ قَالْوَاْ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَا فَأُوْلَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءتْ مَصِيرًا ۞ إِلاَّ الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاء وَالْوِلْدَانِ لاَ يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلاَ يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ۞ فَأُوْلَئِكَ عَسَى اللّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللّهُ عَفُوًّا غَفُورًا﴾ [انظر: سورة النساء: 97 - 99]؛ لأنّ السعادة الإلٰهيّة والخلود في النعيم الأخرويّ يقع في إطار (الحسن الفعليّ)، قال تعالى: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [سورة هود: 7؛ سورة الملك: 2]، و(الحسن الفاعليّ) قال تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ﴾[سورة

البينة: 5؛ انظر: البخاريّ، صحيح البخاريّ، ج 1، ص 2؛ الحرّ العامليّ، وسائل الشيعة، ج 1، ص 46 ـ 49]، وإتمام الحجّة على الإنسان، قال تعالى: ﴿مَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [سورة الإسراء: 15]، وطبيعة تفاعل الإنسان مع كلّ ذٰلك، ﴿وَاللَّهُ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [انظر: سورة التوبة: 120؛ سورة هود: 115؛ سورة يوسف: 56 و90]. إذن الإنسان في بحثه عن الدين واختياره للدين الحقّ مسؤولٌ، بيد أنّه لن يعذّب إذا لم يصل إلى الدين الحقّ لسببٍ خارجٍ عن إرادته.

ثانيًا: حكم العقل بدفع الضرر وجلب المنفعة

إنّ كلّ إنسانٍ بحكم عقله وفطرته يسعى إلى اجتناب الضرر، والسعي وراء المنفعة. ولنتصوّر أنّ طفلًا أخذ بالنطق حديثًا، ولا يعرف إلّا بعض أسماء الحيوانات، فإذا قال هٰذا الطفل لنا: (هناك عقربٌ!) فماذا ستكون ردّة فعلنا؟ هل سنفكّر باحتمال الضرر الّذي سيلحق بنا على فرض صحّة كلام الطفل، أو ستبدر منّا ردّة فعلٍ حتّى بدون البحث عن حقيقة الأمر من عدمه؟ أو سننكر أصل وجود الخطر والضرر؟

لقد ذكرنا هٰذا المثال لتوضيح أنّ عقل الإنسان بمحض أن يشخّص احتمال وجود الضرر، فإنّه سيحكم بضرورة دفع ذٰلك الضرر، سواءٌ كان هٰذا الاحتمال من طفلٍ أو بالغٍ. وحتّى إن كان احتمال حصول الضرر قليلًا، فإنّ عقل الإنسان يحكم بضرورة دفع الضرر المحتمل، وبوجوب اجتناب الخطر. وممّا يذكر أنّ الآلاف من أفضل الناس الّذين كانوا على درجةٍ عاليةٍ من العلم والعمل والمقبوليّة، دعوا البشريّة إلى قبول الدين؛ وأنّ قبوله على مستوى العلم والعمل سيفضي إلى السعادة الأبديّة، وأنّ رفضه عنادًا لن يؤدّي إلّا للشقاء والخلود في العذاب، بيد أنّ البعض يتركون البحث الدينيّ والتحقيق عن الوجود وماهيّته بدعوى أنّه يحتمل ألّا يصل بحثٌ كهٰذا إلى نتيجةٍ يقينيّةٍ.

والخلاصة هي أنّ وجوب جلب المنفعة ودفع الضرر وجوبٌ عقليٌّ يضاعف ضرورة البحث الدينيّ. هٰذا كلّه مع أنّنا لم نلحظ عصمة المرسلين، بل سعينا أن

نجيب عن الإشـــكالات المطروحة بأجوبةٍ خارج النطاق الدينيّ، مع أنّنا إذا سلّمنا بوجود الله وكمالاته على أساس البراهين العقليّة، وقبلنا بالدليل العقليّ على ضرورة وجود طريقٍ [إلى الله] ووجود هداةٍ إلى هٰذه الطريق، يمكننا إذ ذاك أن نقرّ بعصمة الأنبياء والأئمّة بشـــكلٍ لا يقبل الشـــكّ، ومن هنا سيزيد هٰذا في قوّة الجواب عن الشبهة المطروحة.

علاوة على ما سبق فإنّ تحمّل أصعب الظروف في سبيل دعوة الناس إلى الهداية، وعدم طلب أيّ أجرٍ أو منصبٍ دنيويٍّ منهم، وتحمّل بعضهم القتل في هٰذا السبيل، إضافـــةً إلى وحدة المحتوى في دعوتهم؛ لمن أهمّ الأدلّة على أهمّيّة البحث عن الدين الّذي يدعو إليه أناس كهٰؤلاء.

ثالثًا: ارتفاع القطع بعدم جدوى البحث عن الدين

بما أنّ يقين الإنسان وقطعه بعدم جدوى البحث عن الدين والالتزام العمليّ به غير متوفّرٍ، فيبقى احتمال الحاجة إليـــه قائمًا؛ وبالتالي فإنّ ترك البحث عنه غير معقولٍ. وبعبارةٍ أخرى يمكن القول إنّ البحث الدينيّ يمكن أن يكون بحثًا عقيمًا وميؤوسًا منه ومشكوكًا فيه إذا قطعنا بخطإ المسائل الدينيّة، أو بكونها مسائل غير قابلةٍ للحلّ، بيد أنّه لا يوجد قطعٌ كهٰذا، بل يوجد ما ينافيه لدى الجهة المخالفة.

رابعًا: الاستعانة بالبراهين العقلية

إذا قبلنـــا أنّ العقل هو أهمّ مصادر المعرفة، فلن يبقى شـــكٌّ ولا ترديدٌ في حلّ المسائل الأساسيّة في الدين، ولا في نتيجة البحث الدينيّ. وبغضّ النظر عن مصداق الدين الصحيح ـ وهو الإســـلام ـ فإنّ الأجزاء الرئيســـة الّتي تؤلّف الدين يمكن إثباتها من خلال البراهين العقليّة، ولن يبقى مجالٌ للشـــكّ والترديد في قبولها. ومن هنا فإنّه يمكن الوصول إلى رؤيـــةٍ صحيحةٍ ويقينيّةٍ في هٰذا الصدد، وذٰلك يتمّ من خلال البحث عن الدين ودراســـة الخيارات الموجودة على أساس الضوابط العقليّة،

وعلى أساس ابتنائها على الأمور البيّنة أي البدهيّة، أو المبينة أي ما يرجع إلى الأمور البدهيّة، وتفصيل هٰذا الكلام يتطلّب مجالًا آخر.

خامسًا: البحث عن الدين أمرٌ فطريٌّ

على أساس نتائج البحوث النفسيّة، فإنّ الإنسان يميل إلى معرفة الحقائق واكتشافها بصورةٍ فطريّةٍ وغريزيّةٍ، ولا يستثنى موضوع الدين من هٰذه القاعدة؛ ولذٰلك فإنّ البحث الدينيّ أمرٌ ضروريٌّ وليس لنا تخطّيه، بل يمكن أن نقول أكثر من ذٰلك، فعلى أساس الجواب الأوّل سيكون البحث الدينيّ صاحب الأولويّة بين البحوث العلميّة في الحياة العلميّة لأيّ إنسانٍ. وإذا كان حسّ البحث واكتشاف الحقائق لدى البشر لا يقع تحت تأثير عوامل خارجيّةٍ مخرّبةٍ، فسيكون للإنسان الدافع الأسمى ليقوم بالبحث الدينيّ.

إنّ أحد عوامل انتشار الإسلام في السنوات الأخيرة، وقبوله بعنوان دينٍ صحيحٍ من قبل بعض الباحثين، هو نهوض هٰذا الحسّ الداخليّ لدى هٰؤلاء، ووصوله إلى الذروة في موضوع البحث الدينيّ.

لذٰلك لم يعد بحث قضيّة الدين لغوًا، بل أضحى ضرورةً مضاعفةً، وبحثًا ذا ثمرةٍ في عالم الواقع. وليس البحث الدينيّ أمرًا فطريًّا لوحده، بل هناك أمورٌ أخرى كالتديّن والبحث عن الإلٰه ومعرفته، وكلّها تقع ضمن الأمور الفطريّة، وإنّ التخلّف عنها هو تخلّفٌ عن الفطرة، وهو خلافٌ لما يطلبه الحسّ الداخليّ للإنسان، فأحاسيس وطلباتٌ كهٰذه تلازم كلّ أفراد البشر، وفي حال عدم وجود المانع عن تلبيتها كالعوامل التربويّة والمحيطيّة ـ فإنّه سيلبّي هٰذه الاحتياجات الفطريّة من خلال عبادته لله، وإنّ هٰذه الغريزة الفطريّة لدى بني الإنسان كافيةٌ لدفع الإنسان لتبرير البحث عن الدين.

سادسًا: الإنسان طالبٌ للكمال

إنّ الإنسان كائنٌ يطلب الكمال فطريًّا، وطلب الكمال يتوقّف على معرفة الكمال، ولا يمكن معرفة الكمال إلّا من خلال البحث عن الرؤى الكونيّة،

والآيديولوجيّات المتفرّعة عنها؛ ولذٰلك لا يوجد أيّ خيارٍ آخر للإنسان الباقي على فطرته السليمة غير بحث قضيّة الدين. وهنا نشير إلى قضيّةٍ مهمّةٍ في هٰذا الصدد، وهي أنّ كلّ إنسانٍ مسؤولٌ على قدر ما أوتي من فهمٍ وقدرةٍ، وهو مسؤولٌ عن مصادر المعرفة الّتي منحها له الله تعالى. ولا شكّ أنّ الله يهدي الشخص الّذي يحثّ الخطى في البحث عن معرفة دينه، وهناك مصاديق تاريخيّةٌ كثيرةٌ لما نقول، ويمكن أن نجدها على مرّ الأزمان والعصور.

النتيجة

على أساس الأجوبة السابقة يمكن أن نصل إلى نتيجةٍ مفادها أنّ البحث في موضوع الدين أمرٌ لا بدّ منه، وأنّ كلّ إنسانٍ يشعر بالحاجة إلى الوصول إلى الدين الحقيقيّ والسعادة الأبديّة والباقية شعورًا دائميًّا، وهٰذا الشعور نابعٌ من الحاجات النفسيّة والوجوديّة للإنسان، الّتي هي الميول الباطنيّة والحقائق العقليّة. ومن الواضح أنّ الكسل والسعي وراء الراحة واتّباع هوى النفس لا يمكن أن يكون دليلًا مقنعًا لترك الأدلّة العقليّة القطعيّة على ضرورة البحث الدينيّ وتحليل الحقائق واستيعابها.

والحقّ أنّ الإنسان قد يتحمّل بعض الصعاب من أجل الحصول على لذّةٍ أفضل وأكثر دوامًا، وقد يغضّ النظر عن بعض الملذّات من أجل تجنّب الوقوع في مشاكل وعذاباتٍ تسبّبها هٰذه الملذّات الوقتيّة؛ فإنكار ضرورة البحث الدينيّ بدعوى أنّها تستلزم منع اتّباع هوى النفس وبعض المحدوديّات الأخرى، مشابهٌ لإنكار ضرورة مراجعة الطبيب بدعوى أنّه قد يصف دواءً ذا طعمٍ مرٍّ.

قائمة المصادر

القرآن الكريم.

1.البخاريّ، محمد بن إسـماعيل، صحيح البخـاريّ، بى جا، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 1981.

2. الحرّ العامليّ، محمّد بن حسـنٍ، قم، تفصيل وسـائل الشيعة إلى تحصيل مسـائل الشريعة (وسائل الشـيعة)، تحقيق: مؤسّسـة آل البيت ،مؤسّسة آل البيت ، 1409 هـ.

3. الكلينيّ، محمّد بن يعقوب بن إسحاق، الكافي، طهران، تحقيق: علي أكبر غفاري ومحمد آخوندي، دار الكتب الإسلاميّة، ط 4، 1407 هـ.

4. مصبـاح يزدي، محمّدتقي،آمـوزش عقايد، قم، مؤسّسـه ى آموزشى وپژوهشى امام خمينى، ط 7، 1391 ش.